الفصل الثالث

فلسفة التربية

العلاقة بين التربية والفلسفة

علاقة الفكر التربوي بفكر المجتمع وفلسفته

فلسفة التربية

تعريف فلسفة التربية

وظائف فلسفة التربية

أهمية دراسة فلسفة التربية

مداخل دراسة فلسفة التربية

فلسفة التربية

إن العلاقة بين الفلسفة والتربية قديمة جدًّا، وقد ظهر تصوُّر هذه العلاقة بين الفلاسفة عبر التاريخ بدءًا من فلاسفة العصور القديمة، مرورًا بفلاسفة العصور الوسطى، ثم الحديثة، وصولًا إلى المعاصرة، وما بعد الحداثة.

العلاقة بين التربية والفلسفة

ترتبط التربية بالفلسفة ارتباطًا كبيرًا، فالفكر التربوي هو فلسفة قبل أن يكون أي شيء آخر، وما دامت الفلسفة تلقي بضوئها على الحكمة، ومحبة الحكمة، وفهْم الإنسان وطبيعته وموقفه من العالم المادي والحياة، فإن ذلك هو ما تبحث عنه التربية، التي تعتمد على فلسفة نظرية عامة (الحديدي، 2013، ص1230).

كما أن الفلسفة هي ذلك النشاط النظري، الذي يُعبِّر فكريًّا عن أوضاع الثقافة ومشكلاتها، ويحاول تعديلها وتطويرها، والتربية هي ذلك المجهود التطبيقي الذي يهدف إلى ترجمة قيم هذه الفلسفة إلى مفاهيم وعادات واتجاهات ومهارات سلوكية لدى الأفراد، ويهدف إلى إحداث تعديل على مستوى المؤسسات الاجتماعية؛ لتدعيم هذه الاتجاهات والمهارات (الخليفة، 2014؛ الخزاعلة، 2012؛ الرشيدي، 2011).

ولقد دعا جون ديوي John Dewey إلى اعتبار الفلسفة بمنزلة النظرية العامة للتربية، وهو ما دأب عليه طوال حياته

الفلسفية؛ إذ كان ينظر إلى التربية من منظور فلسفي ويفهم إشكالاتها (الشمري والجاف، 2008، ص216).

ونكاد نسلم - اعتمادًا على ما سبق - بأن التربية والفلسفة وجهان لعملة واحدة. ويمكن تلمُّس هذا الاتصال الحيوي بينهما في هذه الأبعاد التالية (عطية، 2010، ص75):

- الغاية: فالفلسفة تقرر ما الغاية من الحياة، والتربية تقترح الوسائل لتحقيق هذه الغاية.
- الأهداف: تُصاغ الأهداف حسب التصور الذي تتبناه الفلسفة، والتربية تقوم بالسير على نهج هذه الأهداف.
- الموضوع: الإنسان هو المحور الأساسي لموضوعات الفلسفة، والتربية موضوعها الإنسان في حد ذاته.
- المعرفة: الفلسفة هي التي تصوغ النظريات التي تُطبِّقها التربية، والتربية عملية تطبيقية تنقل المعرفة إلى الأفراد، وتُنمِّي قدراتهم وتُدرِّبهم، وتُحسِّن أداءهم في كل المجالات.

علاقة الفكر التربوي بفكر المجتمع وفلسفته

تستمد التربية أُسُسها ومبادئها وأهدافها العامة من فلسفة المجتمع الذي تنتمي إليه، فالفلسفة تُمثِّل التصور نحو الكون والحياة والإنسان والنظرة العامة للمعرفة، والتفسير المتكامل لنظم المجتمع، أما التربية فتُمثِّل جوانب عديدة من

تلك الفلسفة، ولا سيما ما يرتبط بالإنسان من حيث تكوينه وإعداده لمواجهة متطلبات الحياة ومواكبة تطورات المجتمع وتغيراته المستمرة (بدارنة والحوري، 2015، ص928).

وإذا كانت العلاقة بين الفكر التنظيري والتربية علاقة واضحة، فإن العلاقة بين الفكر التربوي وفكر المجتمع تكون أكثر وضوحًا؛ فالتربية توجد في مجتمع معين له ثقافته وفكره الذي يوجِّه حياته، وهذه الحياة التي تُحكم بمجموعة من القواعد والمعايير، والتي هي جزء من ثقافة المجتمع التي يعبر عنها بفلسفته، والتي تُنظِّم السلوك الإنساني وتُحوِّله إلى أعمال هادفة وضرورية للنظام الاجتماعي الذي يعيش الإنسان في إطاره. ويتحقق دور التربية المنشود حين تُزوِّد الأفراد بمختلف مستوياتهم بالمواقف التي تُنمِّي عقلياتهم الابتكارية، التي تُمكِّنهم من اكتشاف آفاق جديدة تنهض بواقعهم الموجود، وتعمل على تقدُّم هذا المجتمع الذي ينتمون إليه. ويعني ذلك من ناحية أخرى أن النظام التربوي في أي مجتمع يتشكل طبقًا لهذه العناصر التي تُكوِّن فكر المجتمع في الحياة، وهي تعكس ما وصل إليه (عطية، عماد، 2009، ص39).

ويُقصَد بفلسفة المجتمع هي ذلك الجانب من ثقافة المجتمع المتعلق بالمبادئ والأهداف والمعتقدات التي توجه نشاط كل فرد، وتَمُده بالقيم التي ينبغي أن يتخذها مرشدة لسلوكه في الحياة (مرعي والحيلة، 2002).

وإن من أهم وأخطر المشكلات التي تواجه ميدان التربية في أي مجتمع، فقدان الميدان التربوي القاعدةَ الأساسيةَ التي تُمثِّل الأُسُس الفكرية والأُطُر الفلسفية المنبثقة عن الفلسفة العامة للمجتمع؛ لذا يجب أن تكون هذه الأسس والأُطُر الفلسفية واضحة المعالم والاتجاهات للنظام التربوي؛ حتى تصبح المؤسسات التربوية المكان المناسب لبذل الجهود المشتركة لتحقيق الأهداف العامة لها، والغايات العامة للمجتمع (دراوشة والعبادي، 2011).

فلسفة التربية

أفرزت العلاقة بين الفلسفة والتربية في النهاية ميلاد علم جديد يُعرَف بفلسفة التربية. ولقد ظهرت فلسفة التربية لتوجيه النظام التربوي في كليته وعموميته وتكامل عناصره، وتعيين الأهداف، والغايات التربوية، واختيار الوسائل المناسبة، واختبار كل ذلك في ضوء نظريات التربية، ومناقشة القضايا الكبرى في التربية، وتوضيح المفاهيم والمعاني التي تقوم عليها التربية، والكشف عن المعرفة ومجالات استمرارها وتجديدها، وطرق اكتسابها، والقيام بدراسة القيم التي ينبغي أن يلتزم بها المعلمون والمتعلمون واختبارها، وإصدار الأحكام القيمية على نتائج العمل التربوي، والاهتمام بكل ما يتعلق

بتخطيط المناهج، ومحتوى المقررات الدراسية، وكل ذلك وفق تصوُّر شامل، وخطة متكاملة، في اتجاه تحقيق الغايات التربوية ومن ثَمَّ الغايات الفلسفية (الحاج، 2013، ص39).

تعريف فلسفة التربية

لقد أخذت فلسفة التربية تعريفات عدة تكاد تتفق غالبًا في مضمونها، نذكر منها تعريف فلسفة التربية لمحمد بأنها «تطبيق النظرة الفلسفية والمنهج الفلسفي على التربية»، ذلك أنها تتناول تحديد مسار العملية التربوية وتنسيقها ونقدها وتعديلها في ضوء مشكلات الثقافة وصراعاتها؛ لتحقيق الاتساق والانسجام في داخلها ومع كل المؤسسات الاجتماعية (محمد، 2014، ص68).

وتعريف عبدالدايم لها بأنها «الاستشراف المنهجي للمستقبل التربوي، في علاقته بمستقبل المجتمع عمومًا، وذلك عن طريق النظرة النقدية الشاملة إلى الواقع التربوي، وما يحيط به، وما يؤدي إليه» (عبدالدايم، 1991، ص75).

وتعريف العبادي بأنها: «النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ من الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وانسجامها، وتوضيح القيم والأهداف التي ترنو إلى تحقيقها» (العبادي، 2013، ص55).

أما تعريف فلسفة التربية عند بدارنة والحوري فهو: «تطبيق النظريات والأفكار الفلسفية المتصلة بالحياة في ميدان التربية، وتنظيمها في إطار عام؛ لتحقيق الأهداف التربوية المرغوب فيها، والإطار العام من الآراء والمعتقدات الفلسفية التي تدور حول الإنسان وحول العالم الذي يعيش فيه، والتي توجه عملية تربية هذا الإنسان، وتحدد أهدافها ومناشطها» (بدارنة والحوري، 2015، ص929).

وبالنسبة إلى ناصر فيأتي تعريفه فلسفةَ التربية على النحو الآتي: «مجموعة المبادئ والمعتقدات والمفاهيم والفروض والمسلمات التي حُدِّدت في شكل متكامل ومترابط؛ لتكون بمنزلة المرشد والموجه للجهد التربوي والعملية التربوية بجميع جوانبها» (ناصر، 2013، ص80).

ومن وجهة نظر شخصية، يُعَد تعريف الخوالدة دقيقًا ومفصلًا، ويبين ماهية فلسفة التربية ووظائفها وأهدافها، التي تسعى إلى تحقيقها في النظامين التربوي والتعليمي خاصة والمجتمع عامة، والحياة بشكل أعم، وهو «فلسفة التربية تعني حالة الوعي الإنساني الذي يقوم على التفكير الناقد الذي يستند إلى تطبيق طبيعة النظرة الفلسفية والمنهج الفلسفي على ميدان العمل التربوي؛ لتصميم بنيته واختيار أهدافه ومضامينه وطرائقه، فضلًا عن توضيح هذه العناصر وتفسيرها وتحليلها

ونقدها؛ بقصد إدراكها وتطويرها في فهْم التغيرات الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية والتجديدات المستمرة؛ حتى تبقى التربية آلية المجتمع الفعالة في تحقيق التوازن الثقافي في واقع الحياة» (الخوالدة، 2003، ص335).

وظائف فلسفة التربية

حتى يتسنى للفلسفة التربوية الوصول إلى غايتها لا بد لها أن تقوم بوظائف عدة. وتمثل وظائف فلسفة التربية المهام التي تقوم بها، وفي الوقت ذاته تمثل فوائدها وإيجابياتها، التي تؤكد أهميتها وضرورة دراستها، وهي (عبدالرحيم، 2004، ص65-68):

أ. الوظيفة التأملية

ففلسفة التربية تساعد المربي على رؤية العمل التربوي الذي يقوم به في صورة كلية، وفي علاقته بمظاهر الحياة الأخرى واهتماماتها، بعيدًا عن النظرة الضيقة على التخصص، مما يفيده في إزالة التعارض والتصارع في الرؤى الجزئية حتى داخل العلم الواحد.

ب. الوظيفة التحليلية الناقدة

تساعد فلسفة التربية - انطلاقًا من وظيفتها التحليلية الناقدة - على تحليل القضايا، وتحديد كل من معاني ومغازي

المصطلحات والمفاهيم الرئيسة المرتبطة بالعملية التربوية ومدلولاتها، ومنها مفاهيم: (التعلم، المنهج، الغايات، الثواب والعقاب، الحرية، المجانية، تكافؤ الفرص، الديمقراطية... وهكذا)؛ وتحديد الممارسات المبنية على الأهداف التربوية المنشودة والمحققة لها، وفَضّ التعارض والتناقض بين مدلول المصطلح وتطبيقه على أرض الواقع.

ت. الوظيفة الإرشادية (التوجيهية) المعيارية

تقوم فلسفة التربية بعمل المرشد والموجه للعمل التربوي؛ حيث توضح طبيعة العمل التربوي، وتحدد غاياته التي يجب أن يستهدفها، والوسائل العامة التي ينبغي أن يستخدمها لبلوغ هذه الغايات والأهداف التربوية. وبذلك تقدم فلسفة التربية وظيفتها المعيارية التي تحدد ما ينبغي أن يكون وما لا يكون من ممارسات في الميدان التربوي.

وبما أن فلسفة التربية هي الميدان التطبيقي للفلسفة العامة؛ أي الميدان الذي يبحث في المشكلات الفلسفية والاجتماعية من الزاوية التربوية، كما يبحث في المشكلات التربوية بحثًا فلسفيًّا واجتماعيًّا، فإن فلسفة التربية -باختصار- هي الجهد المقصود لتطبيق الفكر الفلسفي في ميدان التربية، شأنها في ذلك شأن الفلسفة العامة من حيث إنها تأملية وناقدة وتحليلية، (أغريس والراشدي، 2014).

ولقد تناول حسان وظائف فلسفة التربية تفصيليًّا، وإن كان ذلك التفصيل لا يخرج عن إطار وظائفها الرئيسة الثلاث السابقة، وهي (حسان، 1983، ص73 – 89):

1. فهْم النظام التعليمي: وذلك من خلال معرفة مفاهيمه والقيم الموجهة له؛ لزيادة الوعي والإدراك بها من حيث المعنى والطريقة والهدف.

2. تشخيص المفاهيم الخاطئة: بكشف وتحليل مفاهيم النظام التعليمي واتجاهاته وقيمه؛ لإعادة صياغة هذه القيم والاتجاهات والمفاهيم وتنظيمها، وحذف السلبي وغير المنتج منها.

3. التدريب على التحليل والتركيب: عن طريق الحوار العقلي والمناقشات، واستخدام طريقة حل المشكلات بوصفها منهجًا علميًّا في تحليل النظام التعليمي ومشكلاته تحليلًا عقليًّا مجردًا، وإجراء الدراسات الميدانية التجريبية، والمواقف التجريبية التي تدفع إلى البحث؛ للتوصل إلى إقامة نظام تعليمي مبني على أُسُس علمية متينة.

4. إدراك العلاقات الجديدة: ويُقصَد بذلك عمليات التفكير الإنتاجي، التي تتطلب الإدراك الواضح لتركيب المشكلة. وإدراك العلاقات الجديدة في النظام التعليمي يتطلب رؤى مجردة توضح الأشياء في شموليتها والنظام في كليته.

5. مواجهة بعض مشكلات الصراع القيمي وحلها: بدراسة القيم السائدة داخل العملية التربوية، ومناقشة هذه القيم للكشف عن الخلل والاضطراب فيها؛ لتحقيق الاتساق فيما بينها والشمولية والتكامل.

6. تطوير النظام التعليمي: بإحداث عمليات التغيير والتجديد، التي تتلافى مصادر الخلل وجوانب الضعف في المنظومة التعليمية، وذلك في إطار رؤية فلسفية مستمدة من احتياجات المجتمع الحقيقية وتطلعاته المستقبلية.

أهمية دراسة فلسفة التربية

في خِضَم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت جميع المجتمعات تقريبًا، أصبحت الحاجة ماسة إلى فلسفة تربوية تقود العملية التعليمية وترشدها. وأي نظام تعليمي لا يقوم على فلسفة تربوية واضحة فسيكون مصيره الفشل لا محالة.

وتحتل فلسفة التربية المركز الأول في العملية التعليمية، ومنها تنبثق أهداف التربية ومناهجها وطرقها ووسائلها في التعليم والتقويم، وكل ذلك يتأثر بها. وتكون نسبة الصواب والفاعلية في هذه الأهداف والمناهج والتطبيقات عمومًا بالقدر

الذي يكون في فلسفة التربية ذاتها، وتكون فلسفة التربية صائبة فاعلة إذا كانت لا تقف عند توليد الوسائل والأساليب التي يحتاجها العمل التربوي، وإنما تتضمن أيضًا الغايات والأهداف النهائية التي أوجدها الإنسان خلال رحلته عبر الزمان والمكان في المنشأ والحياة والمصير (البلعاسي، 2014، ص14).

ونظرًا لأن وعي المعلمين وممارساتهم الفلسفةَ التربويةَ، يؤثران أساسًا في عملية التعلم والتعليم، فإن أهمية فهمهم لفلسفةَ التربية ضروري؛ لأنها تضع النظرية التربوية ضمن إطار مفاهيمي يمكن للمعلم من خلاله أن يربط بين ما هو نظري، وما يمكن أن يطبقه عمليًّا في الموقف التربوي (بدارنة والحوري، 2015).

وإضافة إلى ما سبق، فإن دراسة المربي لفلسفةَ التربية أمر مهم؛ لما لها من أثر كبير في تنمية مهاراته وقدراته. ويمكن توضيح ذلك فيما يلي (جعنيني، 2010؛ البدري، 2009؛ بدران ومحفوظ، 1997):

- تُزوِّد المربي بنظرة ثقافية شاملة متكاملة عن العملية التربوية، تجعله يرى علاقة العملية التربوية وارتباطها بكل القوى الثقافية والاقتصادية والسياسية، ويرى أهداف هذه العملية في الإطار الثقافي بما فيه من تماسُك وتفكُّك، وما فيه من رواسب رجعية.

- تُزوِّد المربي بفهم الواقع برؤية علمية للعملية التربوية، تقوم على التخطيط التربوي المبني على الاتساق المتكامل للمؤثرات الثقافية بالعملية التربوية.
- تُنمِّي لدى المربي التفكير والممارسة بطريقة علمية، وتَجعله أكثر قدرة على تَناوُل المشكلات التربوية بعمق وشمولية.
- تُنمِّي القدرة لدى المربي على الربط بين الممارسات وما يترتب عليها من نتائج، مما يساعده على تعديل طرائقه وأساليبه التربوية في ضوء ذلك، والتقدم والنمو المهني عمومًا.

مداخل دراسة فلسفة التربية

لقد استخدمت فلسفة التربية لعرض أفكارها عددًا من المداخل، وهي (فهمي، 1986، 40–41):

- مدخل الفلاسفة الكبار أو العقول العظيمة (The Great Minds Approach)، ويُعنى بعرض تاريخ الفكر الفلسفي عامة، وتاريخ الفكر التربوي خاصة، ويُركِّز على عرْض آراء الفلاسفة البارزين على امتداد مختلف العصور.
- مدخل المدارس الفكرية (School of Thought Approach)، ويهتم بإبراز أعمال الفلاسفة في إطار مدارس أو

نُظُم فلسفية، ومنها المثالية أو الواقعية أو الطبيعية أو البراجماتية أو التحليلية أو غيرها، وقد يتم تَناوُل هذه المدارس في سياقها التاريخي أو في صورة دراسة مقارنة؛ لبيان موقعها بالنسبة إلى قضايا تربوية معينة.

- مدخل المشكلات أو مدخل التطبيق (Application Approach)؛ وهو المدخل الذي يُعنى بتحليل المشكلات ذات الطابع الفلسفي والأخلاقي النابعة من الواقع التربوي، ورد هذه المشكلات إلى أصولها النظرية في الفكر التربوي والفلسفي، ومن ذلك مثلًا مشكلات العلاقة بين المعلم والتلميذ، التي تعود -في أغلبها- إلى مفهوم الطبيعة الإنسانية، ومشكلات التقويم الأخلاقي، التي تعود إلى مفهوم الأخلاق، وغير ذلك من المشكلات.
- المدخل التحليلي (The analytical approach)، ويُعنى إما بتحليل اللغة وإما بتحليل المفاهيم السائدة في الواقع التربوي والتعليمي.